تقرير لجنة التحديات الإعلامية

التى تواجه العالم الإسلامى فى مطلع القرن المقبل

إعداد أ . د / أحمد عامر (*)

مقدمة :

إن النظام الإعلامى الإسلامى له منطقه الذاتى فهو لا يكتفى بمجرد إبلاغ الرسالة إلى المسلم ﴿ وما على الرسول إلا البلاغ ﴾ ولكن أيضا يهدف إلى الإقناع وليس مجرد الإقناع السلبى للمتلقى ولكن اقتناع استجابة أى يبادر المتلقى إلى تنفيذ المطلوب ... ﴿ استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم ﴾ ، وهذا هو الإعلام الفعال الذى يؤدى إلى تغيير أنماط السلوك ... النظم الإعلامية الراهنة فى الدول الإسلامية هى مستوردة بل أحد هذه الدول تستورد القيم المتناقضة للإسلام لتشكل ضوابط سلوكها ... النظام الإعلامى الإسلامى - كنظام فرعى - نظام سبرنطيقى لأن المجتمع المسلم نظام سبرنطيقى أيضا أى يملك أدوات الضبط الذاتى التى تتمثل فى مبدأ الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فإذا تعطل هذا المبدأ فإن الضبط لابد أن يأتى من الخارج أى بالخروج على الإمام غير العادل فالطاعة واجبة للحاكم المسلم العادل فى المنشط والمكره والعسر واليسر أثرة علينا وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك فاسمع وأطع . وأدى إليه حقه فى الطاعة والنصح وأسأل الله حقك ... فالامتثال لأوامر أولى الأمر واجب على المسلم فى المعروف ولا طاعة فى معصية الله ورسوله ... إلا أن نرى كفرا بواحا فوجب الخروج . وأن ننزع يدا من طاعة ... عسى ولعل أخطر التحديات التى تواجه الأمة الإسلامية هو التحدى الإسلامى .

لذا لا بد من ارتياد الواقع الإسلامى الراهن لكشف أبعاد الحقيقة الإسلامية فى تعاملاتها الدولية ... فالملاحظة الأولى أنه يوجد وحدة حضارية مفترضة هشة ورقيقة بل شكلية كما أنها تعانى من تعدد نظامى وأحيانا صراعات تمزق الأسرة الدولية الإسلامية أو الجماعة السياسية الدولية الإسلامية ... وإزاء الحقيقة الدينية الواحدة توجد مذاهب متعددة فالوحدة الدينية المفترضة تمزقها المذاهب المختلفة بل والمتناحرة أحيانا .

★ - نائب رئيس جامعة قناة السويس ومقرر لجنة التحديات الإعلامية .

ويعد الإعلام أحد أدوات الاندماج للحقيقة الإسلامية ولكن المشكلة هى تعدد اللغات فبأى لغة تصاغ الرسالة الإعلامية . ولكن لا يوجد كوادر لديها خبرة ولو ضئيلة بصياغة الرسائل الإعلامية المختلفة لتعدد الشعوب والتمكن من الإمساك بتلابيب علم نفسية الشعوب الإسلامية للتحديد بالطابع القومى لكل دولة إسلامية .

حيث توجد مصلحة الأمة الإسلامية « مصلحة العباد » فثمة شرع الله الأمة الإسلامية المثالية هى أمة سواء أمة العدل أمة الوسط ﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطا ﴾ .

الإسلام هو الذى يحرك الجماهير ويوحدها ، لقد طلب المسلمون السماء فملكوا الأرض ، فلما اقتصروا على طلب الأرض أضاعوها والسماء معا ... يجب أن يعود إلى الأمة روحها وهو الإسلام .

إذن المطلوب إعادة قراءة الإسلام من خلال تحديات العصر وخاصة التحدى الإعلامى... ففى أوقات الشدائد والمحن والتحديات التى تمر بها الأمم دائما ترجع إلى ينابيع حضارتها ومصادر تراثها ترجع إلى روحها لعلها تكشف عن ذاتها . وفكرة الوحدة فى جميع صورها وتطبيقاتها لا تتجه فى حركتها إلى المستقبل كأداة للتخلص من المأزق الراهن ولكن حركة الوحدة تتجه أيضا إلى الماضى تستند إليه وتغترف منه لأن الهدف النهائى لحركتها لا يتوقف عند تخطى المأزق الراهن ولكن يتعدى ذلك إلى إطلاق القوى الحقيقية فى سبيل اكتشاف الذات للأمة ... لقد منح الإسلام الأمة الإسلامية قدرة هائلة على مواجهة الغزو الفكرى والحضارى بل امتصاص قدرة هذا الغزو وشله عن الحركة والتأثير واستطاعت الأمة الإسلامية - رغم سيادة قوميات أخر محاولاتها تذويب الشخصية الإسلامية - بفضل الإسلام أن تحفظ ذاتها من الضياع ، ولكن ما هو تشخيص واقع الأمة الإسلامية المعاصر الذى يمثل مأزقا ... ؟ ولكن الأمة الإسلامية مالت ميلا عظيما بل مالوا كل الميل عن منهج الله فذهب الله بنورهم وتركهم فى ظلمات لا يبصرون . إذا أرجعنا البصر كرتين فى واقع الأمة الإسلامية الراهن ليتاح لنا ادراكا متفكرا فى شأن واقعنا الإسلامى المعاصر أو المأزق الإسلامى الراهن وما يواجه من تحديات جسام وأخطار قوى خارجية ، فالإسلام الحنيف ليس فقط مجرد فلسفة للتأمل العقلى لما ينبغى أن يكون عليه المجتمع الفاضل أو المجتمع المثالى ولكنه أيضا رسالة حضارية قوامها العمل والتغيير من أجل الإنسان «التنمية» لأنه تعالى لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم .

المواجهة :

صورة المسلمين اليوم فى التصور الأمريكى ... ففى كتاب « ١٩٩٩- نصر بلا حرب » سنة ١٩٨٨ يقول الرئيس الأمريكى ريتشارد نيكسون : « وفى العالم الإسلامى من المغرب إلى أندونيسيا حلت الأصولية الإسلامية محل الشيوعية باعتبارها الأداة الأساسية للتغيير العنيف وعندما نناقش هذه الظاهرة الحديثة فمن المهم بصورة حيوية ألا نسمح لتطرف الأصولية الإسلامية أن يعمى أبصارنا عن عظمة التراث الإسلامى .

إن الثورة الشيوعية تضرب على أوتار احتياجات الإنسان المادية والثورة الإسلامية تضرب على أوتار الاحتياجات الروحية ، فالأيديولوجية الشيوعية تعد بالتحديث السريع ، والأيديولوجية الثورية الإسلامية هى رد فعل ضد التحديث والشيوعية تعد بتدوير ساعة التاريخ إلى الإمام والأصولية الإسلامية تعيدها إلى الوراء .

ولن تحقق أى من الثورتين – الإسلامية والشيوعية – حياة أفضل للشعوب فى العالم الثالث بل سيجعلون الأمر أسوأ. ولكن إحداهما ستسود العالم ما لم يضع الغرب سياسة موحدة لمواجهة الأبعاد الاقتصادية والروحية على حد سواء للصراع الدائر الآن فى العالم الثالث .

إن نجاح الخصم الحقيقى ليست إلا نتيجة مترتبة على ضعف الجسد السياسى الإسلامى وعدم تماسك الإرادة الإسلامية .

مبدأ توزيع الأدوار فى مجال الإعلام الإسلامى :

القيادات الإسلامية لا تزال حتى هذه اللحظة تقف من هذا المبدأ موقف التجاهل بسبب غياب تقاليد حركية وقيادات معدة لذلك رغم أن العالم الإسلامى يملك امكانيات هائلة على رأسها منظمة دولية (منظمة المؤتمر الإسلامى) تملك القدرة على التحرك الدولى بما تملكه من منطق مفهوم الشرعية الدولية . فتوزيع الأدوار يعنى الالتجاء إلى جميع القوى والأدوات كل فى نطاق خصائصها الوظيفية لخلق المساندة فى ، عملية التحرك الخارجى .

إن عملية إدارة الصراع الدولى تعنى فى حقيقتها تنشيط الموقف السياسى من خلال عمليات إثارة متنوعة ثم الإمساك بمتغيرات الموقف بهدف إعادة تشكيل تلك المتغيرات بما

يسمح بقيادة الموقف من خلال عمليات ضغط معينة فى اتجاه معين بحيث يصل مخطط الصراع إلى خاتمة معينة هى أكثر اتفاقا مع مصلحته العليا وأكثر تعبيرا عن أهدافه الحركية .

الإعلام عصب الحياة الدولية :

إذا ما استخدم الحكام قنوات اتصال جيدة وفعالة تنقل إليهم نبض الجماهير وتطلعاتها وآرائها ومواقفها واتجاهاتها الحقيقية وتنقل للمواطنين تعليمات وأوامر الحكام بدقة ، إذ أن نظام الاتصالات السياسية الفعال والكفء للنظام السياسى يشبه النظام العصبى فى الجسم البشرى أو التوجيه الأتوماتيكى للطيران أو إجراءات نظام الكمبيوتر . وفى حالة السياسى تتم عملية المعلومات من خلال المراكز البشرية لصنع القرار وفى حالة القيادة الآلية فإن المعدات الإلكترونية تصنع القرار .

إن القدرات الاتصالية قد شبهها كارل دويتش بالعصب الحكومى وتوجد عدة معايير يمكن الاستناد إليها لقياس كفاءة نظام الاتصال السياسى وهى :

١ - كفاءة قنوات الاتصال :

إذ أن وجود قنوات الاتصال الآلية مفيدة بل حيوية للنظام السياسى كالتليفزيون والراديو والتليفونات والتلكس والصحف ووسائل النشر الإلكترونية الحديثة .

والملاحظ أن الدول المتخلفة تعانى من فقر مخيف فى عدد قنوات الاتصال مما يؤدى ذلك إلى تعقيد المشاكل السياسية ، كما أن معظم قنوات الاتصال السياسى فيها ضعيفة لأنها ما زالت بدائية ومن ثم توجد صعوبة فى نقل وإرسال القرارات السياسية ولذا تشكل عائقا يحول بين تدفق المعلومات من وإلى مراكز صنع القرار .

٢ - وجود الكوادر والخبرات الفنية المتخصصة فى الاتصالات :

أما أهمية كفاءة الكوادر الفنية المتخصصة فى الاتصالات كحارس البوابة الذى يستخدم فى علاقات عديدة فى دخل وخرج قنوات الاتصال فهو ينظم تدفق الرسائل ، لذلك فإن دور الخبراء المتخصصين فى الإعلام حيوى ليتمكن المجتمع المعاصر من تلبية ومواجهة احتياجاته اليومية فى عالم متقدم تكنولوجيا .

٢ - التحريف أو التشويه :

معظم التشويه والتحريف يأتى من التزييف فى القدرة التحويلية أو ترجمة الرسائل، فمشاكل الترجمة تنشأ خاصة فى الدول التى تتعدد فيها اللغات وتتنوع الثقافات ، مثال ذلك الاتصالات فى الهند بقدر اللغات .

فإن قدرة وفعالية النظام السياسى تتجلى فى كفاءته فى الاتصال بالجماعات المتنوعة وتوجيهها من خلال إطار مرجعى عام الذى يعرف فى النهاية بالأيديولوجية الذى يربط بين الحاكمين وكل المحكومين فى إطار مرجعى واحد . وحينما يغيب الاتصال السياسى الفعال فإن تحقيق أهداف القيادة السياسية سيكون أكثر صعوبة ، أيضا زيادة العبء عن طاقة القنوات الاتصالية التى تنساب من وإلى مراكز صنع القرار قد تنجم من أسباب عديدة أهمها التحريف واختلاف الأطر المرجعية بين المرسل والجامعات المتنوعة المستقبلة التى تتطلب أساليب مختلفة لوصول نفس الرسالة إليها .

إننا نعيش ثورة إعلامية حيث أصبحت أدوات الإعلام تستطيع أن تصل إلى كل مواطن وإلى كل أسرة مباشرة وبأقل مجهود ، والإعلام يمثل سلطة خطيرة فى المجتمع السياسى ولا تستطيع الدولة ترك تلك السلطة دون رقابة أو على الأقل دون عملية ضبط مباشرة . كما أن الإعلام يفرض مشكلة تقدم وتطور تكنولوجى كذلك الإعلام أصبح يعبر عن خصائص حضارية وتخصص وظيفى وعملية أداء .

تصنيف النظم الإعلامية المعاصرة :

١ - النظام الإعلامى الإكراهى :

وهو النظام الذى عرفه العالم حتى نهاية القرن السابع عشر ولا يزال يجد له تطبيقات فى الكثير من المجتمعات المعاصرة . فالإعلام ليس له من وظيفة سوى أن يخدم الطبقة الحاكمة ويعكس وجهات نظرها .

٢ - النظام الإعلامى القائم على فكرة الحرية الفردية :

وهو النظام الذى يعود من حيث ظهوره إلى فلسفة القرن السابع عشر القائمة على فكرة الحقوق الطبيعية للمواطن . وهنا يكون الإعلام هو الوسيلة لكشف الحقيقة ومن ثم للرقابة على الطبقة الحاكمة .

٣ - النظام الإعلامى الذى يعبر عن مبدأ المسئولية الاجتماعية :

وهو النظام الذى تعبر عنه الأوضاع القائمة فى المجتمع الأمريكى منذ الحرب العالمية الأولى . فالإعلام هنا ملكا للمنظمات الخاصة ، وهو يعبر عن التقاليد الغربية .

٤ - النظام الإعلامى الشمولى :

وهو النظام الذى يرجع إلى التقاليد السوفيتية الإعلامية والتى تقوم على أساس أن الإعلام وظيفته الأساسية تتمثل فى تمكين النظام الاشتراكى من النجاح .

٥ - النظام الإعلامى فى الدول المتخلفة :

ومهما يكن من أمر هذه النظم الإعلامية فإن هناك اتجاها عاما يحاول التوفيق بين طبيعة الإعلام من حيث كونه سلاح خطر لا يمكن للدولة أن تتركه للأفراد دون رقابة أو ضبط ومن جانب آخر من حيث كونه يمس حريات وحقوق أساسية للمواطن ، والإعلام فى هذه الحالة لا يمنع أن يتولاه الأفراد بحرية وبدون رقابة مباشرة .

النظام الإعلامى الدولى :

النظام الإعلامى والنظام الدبلوماسى المعاصر يرتبطان بظاهرة الاتصال الدولى من حيث مضمونها وأطراف العلاقة الاتصالية بين الشعوب .

موقف إيجابى :

يجب على الأمة الإسلامية أن تسارع فى الاستفادة من مكتسبات التكنولوجيا فى العملية الإعلامية خاصة الأقمار الصناعية والقنوات التليفزيونية الفضائية ولا تكتفى فى ذلك بمجرد إطلاق الفتاوى فى سلبيات الأطباق الفضائية التليفزيونية وتحريمها بل استخدامها فى كسب معركة التحدى الإعلامى وحماية وجود الأمة الإسلامية ضد خطر هذا الغزو العلمى والتكنولوچى الجديد .

الإعداد للمواجهة :

الصراع الدينى أحد نماذج الصراع الحضارى ، يقصد بالصراع فى أوسع معانيه ما يتولد عن التناقض فى المصالح أو الأهداف أو الاهتمامات بحيث يتحول ذلك التناقض إلى مواقف إيجابية تتجه لا نحو التوفيق بين عناصر التعارض وإنما انتزاع ما يقدمه الطرف

الآخر من مزايا أو مميزا ت بهذا المعنى ، الصراع يفرض حقائق ثلاث : أولها: تعارض أو تناقض فى أحد أبعاد الوجود الإنسانى ثانيهما : هذا التعارض يؤدى إلى نوع من الصدام بحيث أن هناك قوتين أو طاقتين على الأقل كلاهما تقف من الأخرى موقف التربص . ثالثهما : انتهاء هذا التناقض أو التعارض بالصدام بحيث أن كلا من هذه القوى تعبر عن نفسها فى حقائق حركية وتعكس نفسها سلوكيا دون أن تقتصر على مجرد التصور الفكرى .

إن العملية الإعلامية لا تعتمد على المنطق التلقائى وإنما تسعى لاختلاق المنطق ، لذلك فإنها يجب أن تخضع لتخطيط دقيق ومنظم .

وهذا التخطيط يجب أن يراعى القوى السياسية فى المجتمع موضع الحملة الإعلامية والظروف التاريخية لهذا المجتمع وتحديد مدى التغيير الذى يراد إحداثه فى مجتمع الخصم وهل هو مجرد تغيير فى وجهة النظر السياسية أم أحداث تغيير شامل فى الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والسياسية لهذا المجتمع .

بناء وتخطيط الحركة الإعلامية :

إن عملية الإعلام السياسى خاصة عندما تأخذ صورة الحرب النفسية يجب أن تسبقها دراسة عميقة للطابع القومى أى لنفسيات المجتمع موضع الحملة الإعلامية . وقد أثبتت الخبرات المعاصرة أن هذه الدراسة سمحت للحركة الإعلامية بأن ترتفع لتصير أسلوبا من أساليب الاستعمار الحضارى .

فالإعلام هو أولاً : رسالة تنتقل من جهة منظمة لتستقر فى شخص توجه إليه الدعوة بقصد حمله على تغيير موقف من مشكلة معينة .

والإعلام ثانياً : منطق كلى متكامل هو لغة وخطاب بهذا المعنى يفترض جوهرا معنيا يمتاز بالتناسق وعدم التناقض من حيث مقوماته الداخلية كأى رسالة تقوم على تصوير معين للحقيقة ومن ثم فإن أهم مقومات الرسالة الإعلامية هى البناء الفكرى أو الفلسفة الإعلامية والتى تتوقف عليها طبيعة عملية الإثارة النفسية والتى تمثل نقطة البداية فى العملية المنطقية ، الفلسفة بمعنى المنطق الكلى الشامل من حيث النظرة إلى العلاقة بين العملية الإعلامية والجمهور الموجهة إليه تلك العملية .

الاداة الدبلوماسية وعملية تخطيط الإعلام الخارجي :

نجاح الحملة الإعلامية يتوقف أولا وقبل كل شئ آخر على خطة تم إعدادها وقد رأينا أن طبيعة الإعلام هو منطق مصطنع وهو منطق قد يلجأ إلى الكذب وهو لذلك يجب أن يخضع لعملية إعداد دقيقة ومسبقة على تنفيذها وهو بهذا المعنى يخضع لجميع قواعد التخطيط من حيث ضرورة الإعداد المسبق من جانب وضرورة التركيز والوحدة للجهاز الذى يتولى عملية الإعداد هذه من جانب آخر جمع خلق علاقة مرنة بين التخطيط والتنفيذ والمتابعة بحيث لا يكون الفصل بين كل منها يعنى عدم التعاون أو عدم الارتباط الوظيفى من جانب ثالث ، كل هذا ليس إلا تطبيقا للقواعد العامة فى التخطيط السياسى .

obeikandl.com